

الكشاف

أمره بأن يقررهم بقوله : " من يرزقكم " ثم أمره بأن يتولى الإجابة والإقرار عنهم بقوله : يرزقكم ا . وذلك بالأشعار بأنهم مقرون به بقلوبهم إلا أنهم ربما أبوا أن يتكلوا به ؛ لأ الذي تمكن في صدورهم من العناد وحب الشرك قد أجم أفواههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحته ولأنهم إن تفوهوا بأن ا رازقهم : لزمهم أن يقال لهم : فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثون عليه منلا يقدر على الرزق ألا ترى إلى قوله : " قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار " يونس : 31 حتى قال : " فسيقولون ا " يونس : 31 ثم قال : " فماذا بعد الحق إلا الضلال " يونس : 32 فكأنهم كانوا يقرون بأسنتهم مرة ومرة كانوا يتلعثمون عنادا وضرارا وحذارا من إلزام الحجة ونحوه قوله D : " قل من رب السماوات والأرض قل ا قل أفأخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا " الرعد : 16 وأمره أن يقول لهم بعد افلزام والإلجام الذي إن لم يزد على إقرارهم بأسنتهم لم يتقاصر عنه " وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين " ومعناه : وإن أحد الفريقين من الذين يوحدون الرزاق من السموات والأرض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد الذي لا يوصف بالقدرة لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه م موال أو مناف قال لمن خوطب به : قد أنصفك صاحبك وفي درجة بعد تقدمه ما قدم من التقرير البليغ : دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين ولكن التعريض والتورية أنزل بالمجادل إلى الغرض وأهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وقل شوكته بالهويانا ونحوه قول الرجل لصاحبه : علم ا الصادق مني ومنك وإن ألدنا لكاذب . ومه بيت حسان :

أتهجوه ولست له بكفاء ... فشركما لخيركما الفداء .

فإن قلت : كيف خولف بين حرفي الجر الداخلي على الحق والضلال ؟ قلت : لأن صاحب الحق كأنه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء والضال كأنه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري أن يتوجه . وفي قراءة أبي : وإنا أو أياكم إما على هدى أو في ضلال مبين .

" قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون قل يجمع بيننا ربنا يفتح بيننا بالحق وهو الفتح العليم " هذا أدخل في الإنصاف أبلغ فيه من الأول حيث أسند الإجرام إلى المخاطبين وإن أراد بالإجرام : الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مؤمن وبالعمل : الكفر والمعاصي العظام . وفتح ا بينهم : وهو حكمه وفصله : أنه يدخل هؤلاء الجنة وأولئك النار .

" قل أروني الذين ألحقتهم به شركاء كلا بل هو ا [العزير الحكيم " فإن قلت : ما معنى قوله : " أروني " وكان يراهم ويعرفهم ؟ قلت : أراد بذلك أن يريهم الخطأ العظيم في إلحاق الشركاء با [وأن يقايس على أعينهم بينه وبين أصنامهم ليطلعهم على إحالة القياس إليه والإشراك به . و " كلا " ردع لهم عن مذهبهم بعد ما كسده بإبطال المقايسة كما قال إبراهيم تفاحش هلى نبه وقد حجهم بعدما 67 : الأنبياء " ا [دون من تعبدون ولما لكم أف " : E غلطهم وإن لم يقدرُوا ا [حق قدره بقوله : " هو ا [العزير الحكيم " كأنه قال ؛ : أين الذين ألحقتهم به شركاء من هذه الصفات وهو راجع إلى ا [وحده . أو ضمير الشأن كما في قوله تعالى : " قل هو ا [أحد " الإخلاص : 1 .

" وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون " " إلا كافة للناس " إلا إرساله عامة لهم محيطة بهم ؛ لأنها إذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم . وقال الزجاج : المعنى أرسلناك جامعاً للناس في الإنذار والإبلاغ فجعله حالا من الكاف وحق التاء على هذا أن تكون للمبالغة كتاء الرواية والعلامة ومن جعله حالا من المجرور متقدما عليه فقد أخطأ ؛ لأن تقدم حال المجرور عليه في الإحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار وكم ترى ممن يرتكب هذا بالخطأ ثم لا يقنع به حتى يضم إليه أ يجعل اللام بمعنى إلى ؛ لأنه لا يستوي له الخأ الأول إلا الخطأ الثاني فلا بد له من ارتكاب الخطأين .

" ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستخرون عنه ساعة ولا تستقدمون "